... لَـــوْمُ المُحِـــبِّ...

وفي سياق الحديث عن فضائل الحبيب ﷺ وعن مقامه العالي ، نتوقّف عند ذكر القرآن لأعضائه ، عضواً عضواً:

ففي الحديث عن قلبه صلوات الله عليه ، يقول الله تعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] ، ومثلها قوله سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤].

وفي الحديث عن لسانه صلوات الله عليه ، يقول سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤] ، ومثلها قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧].

وفي الحديث عن بصره ﷺ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

وفي الحديث عن وجهه صلوات الله عليه ، يقول سبحانه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وفي الحديث عن يده وعنقه صلوات الله عليه ، يقول عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وفي الحديث عن ظهره وصدره صلوات الله عليه يقول ربنا سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ١ ـ ٣].

واشتقّ اسمه من اسم الله (المحمود) ويشهد له ما أخرجه البخاري في «تاريخه الصغير» من طريق علي بن زيد ، قال: كان أبو طالب يقول:

وشــقّ لــه مــن اسمــه ليجلّــه فـذو العـرش محمـود وهـذا محمّـدُ

وهو مشهور لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، وسُمّي أحمد ، ولم يُسمّ به أحد قبله ، رواه مسلم ، ولأحمد من حديث عليّ رضي الله عنه : «أعطيتُ أربعاً لم يُعطهن أحدٌ قبلي ـ فذكر منها ـ: وسُمّيت أحمد»[1] .

أجل يا رسول الله يا أحمد!

ما أكثر الآيات القرآنية التي تحدّثت عن أخلاقك . . أو صفاتك . . أو آدابك وما إلىٰ هنالك ، وهذا إن دلّ علىٰ شيء فإنما يدلّ علىٰ وجوب محبتك يا رسول الله :

لـوم المحـبّ عليـك ليـس يسـوغُ فلِـمَ العـذول عـن الصّـواب يـزوغُ
يتجـرّع المشتـاق فيـك تستّـراً غُصـص المـلام ولا يكـاد يسيـغ
مـا دام مغـرىً بـادّكـارك مـولعـاً إلاّ غبـيٌّ فـي الـرجـال رديـغُ
يـا مـن سمتْ شـرفـاً خـلائقـهُ فلـم يبلـغ بمـدحٍ وصفهـنّ بليـغُ
من لي برؤية وجهك الحسنِ الذي فيـه لأقمـارِ الجمـال بُـزوغُ

* * *

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني : ٢/ ٦٢٩ .